

فى هذه الحالة - حالة المفاجأة - تتفتح النفس على عالم مسحور حافل بالصور والزخارف والأسرار ، وتوجد القريحة بالمعنى البكر والخيال الطريف ، وتتمتع للشاعر منادح للإحساس ولوصف الإحساس يركض فيها ركض السبق والتجلية إن كان من السابقين المجلين . ولكن سحر المفاجأة يمتنع بعد قليل أو كثير فلا يمتنع عليه سبيل القول بامتناعه ، كالذى تسحره المدينة لأول نظرة فيصفها على التو والساعة فى الصورة المتوهجة التى أضفاها عليه سحرها . ثم يقيم فيها سنة وسنوات فلا يجهلها بعد معرفة ، ولا يعز عليه وصفها بعد قدرة . ولكنه يصفها غير مسحور ولا مبهور . فيخسر وصفه ذلك الوهج اللامع ثم يعوضه نفاذ النظرة وطول الخبرة وصدق المشاهدة ، كأنما تغيرت المدينة وهى لم تتغير بين النظرتين ، ولا أخطأ واصفها فى إحدى الحالتين .

وإذا كان هذا شأن المدينة المحدودة ، فكيف يكون شأن العالم النفسانى الذى ليست له حدود ؟ وكيف يستنفد هذا العالم الرحيب فى نظرة واحدة ولا سيما نظرة المفاجأة والمعرفة الأولى ؟ وكيف يفهم العاطفة الإنسانية من يحسبها ضيفاً يفارق الحياة بعد المصافحة الأولى ولا يعلم أنها هى صاحبة الدار ، وأنها هى الحياة ؟

فالأعاصير الطاغية تعصف على العالم النفسانى حيثما تشاء على اختلاف الأوقات والأجواء ، وليست أعاصير المغارب بدعاً فى عالم الأكوان ولا فى عالم الإنسان .

وقد أشار على صاحبنا هاردى فأحسن المشورة فيما اخترت لتسمية هذا الديوان . فقد نظمته بين ثوائر الأفكار وثوائر الحروب